سُورَةُ الشُّورَى

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [الشُّورَى: ٣]

القراءات: (يوحى) قرأ ابن كثير بفتح الحاء وبعدها ألف رسمت ياء وقرأ الباقون: بكسر الحاء وياء بعدها.

التوجيه: قرئ (يوحي) بكسر الحاء وياء بعدها، ولفظ الجلالة (الله) فاعل، والمعنى: مثل ذلك الإيحاء الذي أوحى الله إليك يا محمد، أوحى الله إلى سائر الرسل، وقرئ (يوحَى) بفتح الحاء، وألف بعدها رسمت ياءً على بناء الفعل لنائب الفاعل، ووجهها تعين الفاعل، ويحتمل أن يكون فيها دلالةً على تشابه طريقة الوحي ورسول الوحي (جبريل)، والموحَى به [أي التشابه في العقائد]، فأتى بالفعل مبينًا للنائب للدلالة على العموم، والله أعلم.

فائدة: قال الألوسي: مبينًا وجه رفع اسم الجلالة (الله) على قراءة ابن كثير (يوحى)؛ قال الزمخشري: رافعه ما دل عليه (يوحى) كأنّ قائلًا قال: من الموحي: فقيل: الله وإنما قدر كذلك على ما قاله صاحب الكشف ليدل على أن الإيحاء مسلَّم معلوم، وإنما الغرض من الإخبار إثبات اتصافه بأنه تعالى من شأنه الوحي لا إثبات أنه موحٍ، ولم يرتضِ القول بعدم الفرق بين هذا وقوله تعالى ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ ﴾ بل أوجب الفرق لأن الفعل المضارع هنالك على ظاهره لم يؤت به للدلالة على الاستمرار ولهم فيه مقال.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّ ﴾ [الشُّورَى: ٥]

القراءات: (تكاد) قرأ نافع والكسائي بياء التذكير والباقون بتاء التأنيث.

التوجيه: قال ابن عاشور: قرئ بالياء وبالتاء، وهما وجهان جائزان في الفعل المسند إلى جمعٍ غير المذكر السالم وخاصةً مع عدم التأنيث الحقيقي يقصد أنّ تأنيث كلمة السماوات تأنيث لفظي وليس حقيقيًا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ ﴾ [الشورى: ٥]

القراءات: قرأ أبو عمرو وشعبة ويعقوب (ينفطرن) بالنون بعد الياء وكسر الطاء مخففة، وقرأ الباقون (يتفطرن) بالتاء بعد الياء وفتح الطاء مشددة.

التوجيه: قال الألوسي: قرئ (يتفطرن) يتشققن من عظمة الله تعالى وجلاله جل شأنه، ورُوي ذلك عن قتادة وأخرج جماعة، منهم الحاكم وصححه، عن ابن عباس أنه قال: تكاد السموات يتفطرن من الثقل، وقيل: من دعاء الشريك والولد له سبحانه كما في سورة مريم، وأيد هذا بقوله تعالى بعد: «والذين اتخذوا من دونه أولياء»، فإيراد الغفور الرحيم بعد لأنهم استوجبوا بهذه المطالبة صب العذاب عليهم، لكنه صرف عنهم لسبق رحمته عَزَّ وَجَلَّ.

وقرأ البصريان، وأبو بكر (ينفطرن) بالنون، والأول أبلغ لأنه مطاوع التفطير والمطاوع من التفعيل والتفعل الموضوع للمبالغة بخلاف الثاني فإنه انفعال مطاوع للثلاثي.

وقال ابن عاشور: وقرأ الجمهور (يتفطرن) بتحتية ثم فوقيه وأصله مضارع تفطر، وهو مطاوع التفطير الذي هو تكرير الشق، وقرأه أبو عمرو وأبو بكر عن عاصم ويعقوب بتحتية ثم نون وهو مضارع: انفطر، مطاوع الفطر مصدر فطر الثلاثي، إذا شق، وليس المقصود منه على القراءتين قبول أثر الفاعل إذ لا فاعل هنا للشق وإنما المقصود الخبر بحصول الفعل، وهذا كثير، كقولهم: انشق ضوء الفجر، فلا التفات هنا لما يقصد غالبًا في مادة التفعل من تكرير الفعل إذ لا فاعل للشق هنا ولا لتكرره، فاستوت القراءتان في باب البلاغة، على أن استعمال صيغ المطاوعة في اللغة ذو أنحاء كثيرة واعتبارات كما نبّه عليه كلام الرضى في شرح الشافية.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [الشُّورَىٰ: ٢٣]

القراءات: (يبشر) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بفتح الياء وإسكان الباء وضم الشين مخففة وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشددة.

التوجيه: قال ابن عاشور: قرئ (يبشر) بضم الياء وفتح الباء وتشديد الشين مكسورة، وهو من بشّره، إذا أخبره بحادثٍ: يسره، وقرئ بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين مخففة، يقال: بشرت الرجل بتخفيف الشين أبشره من باب نصر إذا أغبطه بحادثٍ يسره.

قلتُ: قال في لسان العرب: بشرْتُه فأبشر واستبشر وتبشّر وبَشِر: فَرِح.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الشُّورَىٰ: ٢٥]

القراءات: (ما تفعلون) قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف العاشر ورويس بخلف عنه بتاء الخطاب على الالتفات وقرأ الباقون بياء الغيب وهو الوجه الثاني لرويس.

التوجيه: قراءة (ما يفعلون) بالياء على وجه الغيبة تحتمل أن تكون إخبارًا عن علم الله بأفعال المشركين الصادين عن سبيل الله، وهو مناسب لقوله قبلها ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الشُّورَىٰ: ٢٤]، وتحتمل أن تكون إخبارًا عن علم الله بما يفعله المؤمنون الذين وعدهم بالتوبة عليهم في قوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الشُّورَىٰ: ٢٥]، فهي على الوجه الأول تهديد، وعلى الثاني تبشير وقراءة (تفعلون) بالتاء فيها التفات وتحتمل كذلك ما تحتمله القراءة الأولى إلّا أنّ الالتفات على الوجه الأول يفيد التوبيخ والتهديد للمشركين وذلك بمخاطبتهم بأنّ الله عليمٌ بأفعالهم القبيحة وعلى الوجه الثاني يفيد التودد والتبشير للمؤمنين.

obeikandl.com

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ﴾ [الشورى: ٢٧]

القراءات: قرأ: نافع وابن عامر وعاصم وأبو جعفر «يُنَزِّل الغيث» وقرأ الباقون: «يُنْزِل الغيث».

التوجيه: قراءة «ينزل» بالتشديد تفيد كثرة الفعل وتكرره، كما تفيد التدرج، فالشمس – بإذن الله – بحرارتها تبخر ماء البحر الذي يتكاثف في السماء عند برودة الجو فينزل المطر، وقراءة «ينزل» بترك التشديد تفيد أنّ مجرد نزول المطر فيه خير وبركة وإغاثة، وإن قلّ المطر النازل، والله أعلم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠]

القراءات: «فبما» قرأ: نافع وابن عامر وأبو جعفر «بما» بدون فاء وقرأ الباقون: «فبما» بالفاء.

التوجيه: قال الألوسي: وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر في رواية، «بما» بغير فاء لأنها ليست بلازمة وإيقاع المبتدأ موصولًا يكفي في الإشعار المذكور. وحُكي عن ابن مالك أنه قال: اختلاف القراءتين دل على أن ما موصولة فجيء تارة بالفاء في خبرها وأخرى لم يؤت بها حطًا للمسبب عن المسبب به، وجوز كون ما شرطية واستظهره أبو حيان في القراءة بالفاء وجعلها موصولة في القراءة الأخرى بناءً على أن حذف الفاء من جواب الشرط مخصوص بالشعر عند سيبويه نحو:

من يفعل الحسنات الله يشكرها .....

والأخفش وبعض نحاة بغداد، أجازوا ذلك مطلقًا، ومنه قوله تعالى ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾.

وقال أبو البقاء: حذف الفاء من الجواب حسن إذا كان الشرط بلفظ الماضي، ويعلم منه مزيد حسن حذفها هنا على جعل ما موصولة.

وقال ابن عاشور: والباء للسببية، أي سبب ما أصابكم من مصيبة هو أعمالكم، وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (بما كسبت أيديكم) على أن (ما) موصولة وهي مبتدأ. و(بما كسبت أيديكم) ظرف مستقر هو خبر المبتدأ، وكذلك كتبت في مصحف المدينة ومصحف الشام وقرأ الباقون (فبما كسبت أيديكم) بفاء قبل الباء وكذلك كتبت في مصحف البصرة ومصحف الكوفة، على أن (ما) متضمنة معنى الشرط فاقترن خبرها بالفاء لذلك، أو هي شرطية والفاء رابطة لجواب الشرط ويكون وقوع فعل الشرط ماضيًا للدلالة على التحقق.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾ [الشُّورَىٰ: ٣٥]

القراءات: قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر «ويعلمُ» وقرأ الباقون «ويعلمَ».

التوجيه: قال الرازي: قرأ نافع وابن عامر: يعلمُ بالرفع على الاستئناف وقرأ الباقون بالنصب، فالقراءة بالرفع على الاستئناف وأما بالنصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم. ﴿ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ والعطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن ومنه قوله تعالى ﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [مَرْيَم: ٢١] وقوله تعالى ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الجَاثِيَة: ٢٢].

وقال ابن عاشور: قرأ نافع وابن عامر ويعقوب برفع (ويعلم) على أنه كلام مستأنف وقرأه الباقون بالنصب. فأما الاستئناف على قراءة نافع وبن عامر ويعقوب فمعناه أنه كلام آنف لا ارتباط له بما قبله، وذلك تهديد للمشركين بأنهم لا محيص لهم من عذاب الله لأنه لَـمَّا قال ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ ﴾، صار المعنى: ومن آيات انفراده بالإلهيه الجواري في البحر. والمشركون يجادلون في دلائل الوحدانية بالإعراض، والانصراف عن سماعها فهددهم

الله بأن أعلمهم أنهم لا محيص لهم، أي من عذابه فحذف متعلق المحيص إبهاما له وتهويلًا للتهديد لتذهب النفس كل مذهب ممكن، فيكون قوله ﴿ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ ﴾ خبرًا مرادًا به الإنشاء والطلب فهو في قوة: وليعلم الذين يجادلون، أو اعلموا يا من يجادلون، وليس خبرًا عنهم لأنهم لا يؤمنون بذلك حتى يعلموه.

وأما قراءه النصب فهي عند سيبويه وجمهور النحاة على العطف على فعل مدخول للام التعليل، وتضمن (أن) بعده. والتقدير: لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون إلخ.

وسموا هذه الواو (واو الصرف) لأنها تصرف ما بعدها عن أن يكون معطوفًا على ما قبلها، إلى أن يكون معطوفًا على فعل متصيد من الكلام وهذا قول سيبويه في باب ما يرتفع بين الجزمين وينجزم بينهما، وتبعه في الكشاف، وذهب الزجاج إلى أن الواو واو المعية التي تنصب الفعل المضارع بـ (أن) مضمره، ويجوز أن يجعل الخبر مستعملًا في مقاربة المخبر به كقولهم: قد قامت الصلاة، فلما كان علمهم بذلك يوشك أن يحصل نُزِّل منزلة الحاصل فأخبر عنهم به، وعلى هذا الوجه يكون إنذارًا بعقاب يحصل لهم عن قريب وهو عذاب السيف والأسر يوم بدر. وذكر فعل (يعلم) للتنويه والاعتناء بالخبر كقوله تعالى ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ﴾ في سورة البقرة، وقوله ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٖ ﴾ في سورة الأنفال.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٧]

القراءات: قرأ حمزة والكسائي وخلف «كبير الإثم» وقرأ الباقون «كبائر الإثم».

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ الجمهور (كبائر) بصيغة الجمع، وقرأه حمزة والكسائي وخلف (كبير) بالإفراد، فكبائر الإثم: الفعلات الكبيرة من جنس الإثم وهي الآثام العظيمة التي نهى الشرع عنها نهيًا جازمًا، وتوعد فاعلها بعقاب الآخرة مثل القذف

والاعتداء والبغي. وعلى قراءة كبير الإثم فالمراد به معنى كبائر الإثم لأن المفرد لما أضيف إلى معرّف بلام الجنس من إضافة الصفة إلى الموصوف كان له حكم ما أضيف هو إليه.

قلتُ: أصح تعاريف الكبيرة: أنها ما توعد الشرع على فعله بالعذاب في الآخرة أو بالحدّ في الدنيا، أو بالغضب أو باللعنة، وكذا الإصرار على الصغيرة يصيّرها كبيرة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١]

القراءات: «أو يرسل رسولًا فيوحى» قرأ نافع وابن ذكوان بخلف عنه برفع اللام من يرسل وإسكان الياء التي بعد الحاء في «فيوحِيْ». وقرأ الباقون بنصب اللام والياء «يرسلَ»، «يوحِيَ».

التوجيه: قال الرازي: قرأ نافع ..«أو يرسل رسولًا» برفع اللام «فيوحيْ» بسكون الياء ومحله رفع على تقدير وهو يرسل فيوحي. والباقون بالنصب على تأويل المصدر كأنه قيل ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو إسماعًا لكلامه من وراء حجاب أو يرسل لكن فيه إشكال لأن قوله وحيًا وإسماعًا اسم، وقوله تعالى (أو يرسل) فعل وعطف الفعل على الاسم قبيح فأجيب عنه بأن التقدير: وما كان لبشر يكلمه إلا أن يوحى إليه وحيًا أو يسمع إسماعًا من وراء حجاب أو يرسل رسولًا.

وقال أبو حيان: وكل هذه الأقسام الثلاثة يصدق عليها أنها وحي وخص الأول باسم الوحي هنا لأن ما يقع في القلب على سبيل الإلهام يقع دفعة واحدة فكان تخصيص لفظ الوحي به أولى وقيل: (وحيًا) كما أوحي إلى الرسل بواسطة الملائكة أو (يرسل رسولًا)، أي نبيًا كما كلم أمم الأنبياء على ألسنتهم حكاه الزمخشري وترك تفسير (أو من وراء حجاب) ومعناه في هذا القول: كما كلم محمدًا أو موسى صلى الله عليهما وسلم وقرأ الجمهور: (حجاب) مفردًا وابن أبي عبلة: حجب جمعًا وقرأ الجمهور: بنصب الفعلين على

عطف (أو يرسل) على المضمر الذي يتعلق به من وراء حجاب تقديره: أو يكلمه من وراء حجاب وهذا المضمر معطوف على وحيًا والمعنى: إلا بوحي أو سماع من وراء حجاب أو إرسال رسول فيوحى ذلك الرسول إلى النبي الذي أرسل إليه بإذن الله ما يشاء ولا يجوز أن يعطف (أو يرسل) على (أن يكلمه الله) لفساد المعنى. **وقال الزمخشري**: وحيًا وأن يرسل مصدران واقعان موقع الحال لأن أن يرسل في معنى إرسالًا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال أيضًا كقوله: (وعلى جنوبهم) والتقدير: وما صح أن يكلم أحدًا إلا موحيًا أو مسمعًا من وراء حجاب أو مرسلًا. انتهى أما وقوع المصدر موقع الحال فلا ينقاس وإنما قالته العرب وكذلك لا يجوز جاء زيد بكاءً تريد باكيًا وقاس منه المبرد ما كان منه نوعًا للفعل نحو: جاء زيد مشيًا أو سرعة ومنع سيبويه أن يقع أن والفعل المقدر بالمصدر موقع الحال فلا يجوز نحو: جاء زيد أن يضحك في معنى ضحك الواقع موقع ضاحكًا فجعله وحيًا مصدرًا في موضع الحال مما لا ينقاس وأن يرسل في معنى إرسالًا الواقع موقع مرسلًا ممنوع بنص سيبويه وقرأ نافع وأهل المدينة: أو يرسل رسولًا فيوحي بالرفع فيهما فخرج على إضمار هو يرسل أو يتعلق به من وراء إذ تقديره: أو يسمع من وراء حجاب ووحيًا مصدر في موضع الحال عطف عليه ذلك المقدر المعطوف عليه أو يرسل والتقدير إلا موحيًا أو مسمعًا من وراء حجاب ومرسلًا، وإسناد التكلم إلى الله بكونه أرسل رسولًا فجاز كما تقول: نادى الملك في الناس بكذا وإنما ينادي الذي يدور في الأسواق؛ نُزِّل ما كان بواسطة منزلة ما كان بغير واسطة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾

[الزخرف: ٥]

القراءات: قرأ حمزة ونافع والكسائي وخلف وأبو جعفر «إن كنتم» وقرأ الباقون «أن كنتم».

التوجيه: قال الرازي: قرئ «إن كنتم» بكسر الألف، تقديره: إن كنتم مسرفين لا

نضرب عنكم صفحًا، وقيل: إن بمعنى إذ، كقوله تعالى ﴿ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٧]، وبالجملة فالجزاء مقدم على الشرط، وقرئ «أن كنتم» بفتح الألف على التعليل أي لأن كنتم مسرفين.

وقال الزمخشري: «أن كنتم» أي: لأن كنتم، وقرئ: إن كنتم وإذ كنتم. فإن قلت كيف استقام معنى أن الشرطية، وقد كانوا مسرفين على البت؟ قلت: هو من الشرط الذي ذكرت أنه يصدر عن المدل بصحة الأمر المتحقق لثبوته، كما يقول الأجير إن كنت عملتُ لك فوفني حقي وهو عالم بذلك، ولكنه يخيل في كلامه أن تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق، مع وضوحه استجهالًا له.

قلتُ: قراءة «إن كنتم» تفسيرية وليست متواترة.

وقال ابن عاشور: وقرأ نافع وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف «إن كنتم» بكسر همزة «إن» فتكون «إن» شرطية، ولما كان الغالب في استعمال «إن» الشرطية أن تقع في الشرط الذي ليس متوقعًا وقوعه بخلاف إذا التي هي للشرط المتيقن وقوعه، فالإتيان بـ «إن» في قوله «إن كُنتم مسرفين» لقصد تنزيل المخاطبين المعلوم إسرافهم منزله من يشك في إسرافه لأن توفر الأدلة على صدق القرآن من شأنه أن يزيل إسرافهم وفي هذا ثقة بحقية القرآن وضرب من التوبيخ على إمعانهم في الإعراض عنه.

وقرأه ابن كثير وابن عامر وعاصم وأبو عمرو ويعقوب بفتح الهمزة على جعل «أن» مصدرية وتقدير لام التعليل محذوفًا. أي لأجل إسرافكم، أي لا نترك تذكيركم بسبب كونكم مسرفين بل لا نزال نعيد التذكير رحمة بكم.

وقال ابن جرير: والصواب من القول في ذلك عندنا: أن الكسر والفتح في الألف في هذا الموضع قراءتان مشهورتان في قرأة الأمصار صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن العرب إذا تقدم «أن» وهي بمعنى الجزاء فعل مستقل كسروا ألفها

أحيانًا فمحضوا لها الجزاء فقالوا: أقوم إن قمت وفتحوها أحيانًا وهم ينوون ذلك المعنى فقالوا: أقوم أن قمت بتأويل لأن قمت فإذا كان الذي تقدمها من الفعل ماضيًا لم يتكلموا إلا بفتح الألف من أن فقالوا: قمتُ أن قُمتَ وبذلك جاء التنزيل وتتابع شعر الشعراء.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [الزخرف: ١٨]

القراءات: «ينشأ» قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف العاشر بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين وقرأ الباقون بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين.

التوجيه: قرئ «ينشأ» بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين للدلالة على أنّ الله قد هيأ النساء لذلك، بل وفطر ما حولها من أهلٍ غيرهم على تهيأة ذلك لها، وقراءة «ينشأ» بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين تدل على أنهنّ فطرن على محبة ذلك والرغبة فيه والسعي إليه، لا أنّها تُكره ممّن حولها على ذلك.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ﴾ [الزخرف: ١٩]

القراءات: «عباد الرحمن» قرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر «عباد» بباء مفتوحة وبعدها ألف مع ضم الدال وقرأ الباقون «عند» بنون ساكنة بعد العين مع فتح الدال.

التوجيه: قال الرازي: قرأ نافع وابن كثير: عند الرحمن بالنون وهو اختيار أبي حاتم. واحتج عليه بوجوه **الأول-** أنه يوافق قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وقوله ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ ﴾ [الأنبياء: ١٩]، **والثاني-** أن كل الخلق عباده فلا مدح لهم فيه. **الثالث-** أن التقدير أن الملائكة يكونون عند الرحمن لا عند هؤلاء الكفار فكيف عرفوا كونهم إناثًا؟ وأما الباقون فقرأوا «عبادُ» جمع عبد وقيل جمع عابد كقائم وقيام وصائم وصيام ونائم ونيام وهي قراءة ابن عباس واختيار أبي عبيد قال لأنه تعالى رد عليهم قولهم، إنهم بنات

الله وأخبر أنهم عبيد ويؤيد هذه القراءة قوله ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

قلتُ: هما قراءتان متواترتان، وفي كل قراءة فوائد، فما ذكره الرازي من احتجاجٍ لاختيار أبي عبيد واختيار أبي حاتم إنما هي فوائد لهاتين القراءتين لا أوجه لترجيح إحداهما على الأخرى.

وقال ابن عاشور: وقرأ نافع وأبو جعفر بهمزتين أولاهما مفتوحة والأخرى مضمومة وسكون شين (أأشهدوا) مبينًا للنائب وكيفية أداء الهمزتين يجرى على حكم الهمزتين في قراءة نافع، وعلى هذه القراءة فالهمزة للاستفهام وهو للإنكار والتوبيخ. وجئ بصيغة النائب عن الفاعل دون صيغة الفاعل لأن الفاعل معلوم أنه الله تعالى لأن العالم العلوي الذي كان فيه خلق الملائكة لا يحضره إلا من أمر الله بحضوره، ألا ترى ما ورد في حديث الإسراء من قول كل ملك موكل ببابٍ من أبواب السماوات لجبريل حين يستفتح من أنت؟ قال: جبريل، قال: ومن معك؟ قال: محمد قال: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قال: مرحبًا ونعم المجيء جاء وفتح له، والمعنى أأشهدهم الله خلق الملائكة وكقوله تعالى ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وقرأه الباقون بهمزة مفتوحة فشين مفتوحة بصيغة الفعل، فالهمزة لاستفهام الإنكار دخلت على فعل (شهد)، أي ما حضروا خلق الملائكة على نحو قوله تعالى ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ [الزخرف: ٢٤]

القراءات: «قال» قرأ حفص وابن عامر «قال» بفتح القاف واللام وألف بينهما وقرأ الباقون «قل» بضم القاف وإسكان اللام.

«جئتكم»: قرأ أبو جعفر «جئناكم» بنون مفتوحة مكان التاء المضمومة وألف بعدها وقرأ الباقون «جئتكم» بتاء مضمومة.

التوجيه: قال ابن عاشور: قرأ الجمهور (قل) بصيغة فعل الأمر المفرد فيكون أمرًا للرسول ﷺ بأن يقوله جوابًا عن قول المشركين ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾. وقرأ ابن عامر وحفص (قال) بصيغة فعل الماضي المسند إلى المفرد الغائب فيكون الضمير عائدًا إلى نذير الذين قالوا ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ فحصل من القراءتين أن جميع الرسل أجابوا أقوامهم بهذا الجواب، وعلى كلتا القراءتين جاء فعل (قل) أو (قال) مفصولًا غير معطوف لأنه واقع في مجال المحاورة كما تقدم غير مرة، منها قوله تعالى ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ في سورة البقرة.

وقرأ الجمهور «جئتكم» بضمير تاء المتكلم. وقرأ أبو جعفر جئناكم بنون ضمير المتكلم المشارك وأبو جعفر من الذين قرأوا (قل) بصيغة الأمر فيكون ضمير (جئناكم) عائدًا للنبي ﷺ المخاطب بفعل (قل) لتعظيمه ﷺ من جانب ربه تعالى الذي خاطبه بقوله (قل).

قلتُ: والأصح عندي – والله أعلم – أن يكون تعظيم النبي ﷺ على قراءة أبي جعفر «قل أولو جئناكم» في قوله «جئناكم» من جمع الضمير، فلم يقل «جاءكم الله ورسوله» ولا «جاءكم الرسول من عند الله»، بل قال «جئناكم» والمعنى: جاءكم الله بهدىً اصطفاني لمجيئكم به.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ ﴾ [الزخرف: ٣٣]

القراءات: «سقفًا» قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر بفتح السين وإسكان القاف على الإفراد لإرادة الجنس وقرأ الباقون بضمها على الجمع.

المعنى: قال الرازي: قيل: سُقُف بضم السين والقاف جمع سَقف، كرَهْن ورُهُن، قال أبو عبيد: ولا ثالث لهما، وقيل سُقُف جمع سقوف، كرهن ورهون، وزبر وزبور، فهو جمع الجمع.

التوجيه: قال ابن جرير: واختلفت القراء في قراءة قوله «سقفا» فقرأ بعضهم «سقفا» بفتح السين وسكون القاف اعتبارًا منهم ذلك بقوله ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾ وتوجيهًا منهم ذلك إلى أنه بلفظ واحد معناه الجمع. وقرأ آخرون (سُقُفًا) بضم السين والقاف، ووجهوها إلى أنها جمع سقيفة أو سقوف، وإذا وجهت إلى أنها جمع سقوف كانت جمع الجمع، لأن السقوف: جمع سَقْف، ثمّ تجمع السقوف سُقُفًا، فيكون ذلك نظير قراءة من قرأ (فَرُهُنٌ مقبوضة) بضم الراء والهاء، وهي الجمع، وأحدها رهان ورهون، وواحد الرهون والرهان: رهن. وكذلك قراءة من قرأ (ثُمُره) بضم الثاء والميم، ونظير قول الراجز: «إذا ابتلَّت حلاقيمُ الحُلُق».

وقد زعم بعضهم أن السُّقُف بضم السين والقاف جمع سَقْف، والرُّهُن بضم الراء والهاء جمع رَهْن فأغفل وجه الصواب في ذلك، وذلك أنه غير موجود في كلام العرب اسم على تقدير فَعْل بفتح الفاء وسكون العين مجموعا على فُعُل، فيجعل السُّقُف والرُّهُن مثله. والصواب من القول في ذلك عندي، أنّهما قراءتان متقاربتا المعنى، معروفتان في قرأة الأمصار، فبأتيهما قرأ القارئ فمصيب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الزخرف: ٣٥]

القراءات: «لما» قرأ عاصم وحمزة وابن جماز وهشام بخلف عنه بتشديد الميم وقرأ الباقون: بتخفيف الميم وهو الوجه الثاني لهشام.

التوجيه: قال الرازي: قرأ عاصم وحمزة (لَّما) بتشديد الميم والباقون بالتخفيف. وأما قراءة حمزة بالتشديد فإنه جعل (لّما) في معنى إلا. وحكى سيبويه: نشدتك بالله لّما

فعلت بمعنى إلّا فعلت ويقوّي هذه القراءة أن في حرف أبي: وما ذلك إلا متاع الحياة الدنيا وهذا يدل على أن (لما) بمعنى: إلا، وأما القراءة بالتخفيف فقال الواحدي لفظة (ما) لغو والتقدير لمتاع الحياة الدنيا. قال أبو الحسن الوجه التخفيف لأن كون لمّا بمعنى إلّا لا يُعرف وحُكي عن الكسائي أنه قال: لا أعرف وجه التثقيل.

قلتُ: القراءتان متواترتان، وقد حكينا عن سيبويه أنّ «لمّا» بالتشديد تأتي بمعنى إلّا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾

[الزخرف: ٣٦]

القراءات: قرأ يعقوب (يُقَيِّضْ) وقرأ الباقون (نُقَيِّضْ).

التوجيه: قراءة (نقيض) بنون العظمة تفيد عظيم عزة الله وكبرياءه وعدم احتياجه إلى عبادة العباد، وقراءة الياء تفيد تعيين الفاعل وأنه هو الله سبحانه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾

[الزخرف: ٣٨]

القراءات: (جاءنا) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة وأبو جعفر بألف بعد الهمزة على التثنية «جاءانا» وقرأ الباقون بغير ألف.

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ نافع وابن كثير وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر (جاءانا) بألف ضمير المثنى عائدًا على من يعش عن ذكر الرحمان وقرينه، أي شيطانه، إفراد ضمير (قال) لرجوعه إلى من يعش عن ذكر الرحمان خاصة، أي قال الكافر متندمًا على ما فرط من اتباعه إياه وائتماره بأمره، وقرأ الجمهور (جاءنا) بصيغة المفرد والضمير المستتر في (قال) عائد إلى (من يعش عن ذكر الرحمان). أي قال أحدهما وهو الذي يعشو. فالمعنى على القراءتين واحد؛ لأن قراءة التثنية صريحة في مجيء الشيطان مع قرينه الكافر

وأن المتندم هو الكافر، والقراءة بالإفراد متضمنة مجيء الشيطان من قوله ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ إذ علم أن شيطانه القرين حاضر من خطاب الآخر إياه بقوله (وبينك). وحرف (يا) أصله للنداء، ويستعمل للتلهف كثيرًا كما في قوله (يا حسرة) وهو هنا للتلهف والتندم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ [الزخرف: ٤١ - ٤٢]

القراءات: ﴿نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ قرأ رويس بتخفيف النون فيهما وإذا وقف على «نذهبن» وقف بالألف على الأصل في نون التوكيد الخفيفة وقرأ الباقون بتشديدها فيهما.

التوجيه: قرئ بنون التوكيد الخفيفة فيهما وبنون التوكيد الثقيلة فيهما أيضًا؛ قال ابن هشام في مغنى اللبيب: معنى نون التوكيد الخفيفة والثقيلة التوكيد، قال الخليل: والتوكيد بالثقيلة أبلغ، ويختصان بالفعل، ويؤكد بهما الأمر مطلقًا، وأمّا المضارع فإن كان حالًا لم يؤكد بهما، وإن كان مستقبلًا أكد بهما وجوبًا، وقريبًا من الوجوب إذا أتى المضارع بعد «إمّا»، ولا يؤكد بهما الماضي مطلقًا.

قلتُ: فائدتهما في هاتين الآيتين - والله أعلم - بيان أنّ الانتقام منهم واقعٌ لا محالة سواءٌ كان في حياته ﷺ كما تفيده آية «أو نرينّك» أو بعد وفاته ﷺ، كما تفيده آية «نذهبنّ بك» ويحتمل أن يكون المراد بيان أنّ الانتقام منهم واقعٌ لا محالة سواءٌ أبقى اللهُ رسوله في مكة حتى يريه ذلك أو ذهب به خارج مكة - كما حدث في بدر - وهذا الثاني - والله أعلم - عندي أظهر، والأول - اختيار الزمخشري وابن عاشور، والثاني- اختيار القرطبي.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٩]

القراءات: «أيها» قرأ ابن عامر وصلًا بضم الهاء اتباعًا لضم الياء والباقون بفتحها على الأصل ووقف عليه أبو عمرو والكسائي بالألف والباقون بحذفها وإسكان الهاء.

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ الجمهور «يا أيه الساحر» بدون ألف بعد الهاء في الوصل وهو ظاهر وفي الوقف أي بفتحه دون ألف وهو على غير قياس لكن القراءة رواية، وعلله أبو شامة بأنهم اتبعوا الرسم وفيه نظر وقرأه أبو عمرو والكسائي ويعقوب بإثبات الألف في الوقف وقرأه ابن عامر بضم الهاء في الوصل خاصة وهي لغة بني أسد، وكتبت في المصحف كلمة (أيه) بدون ألف بعد الهاء، والأصل أن تكون بألف بعد الهاء لأنها (ها) حرف تنبيه يفصل بين (أي) وبين نعتها في النداء وحذفت الألف في رسم المصحف مراعاةً لقراءة الجمهور والأصل أن يُراعى في الرسم حالة الوقف.

قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٣]

القراءات: «أسورة» قرأ حفص ويعقوب بسكون السين بالألف وقرأ الباقون بفتح السين وألف بعدها.

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ الجمهور «أساورة» وقرأ حفص عن عاصم ويعقوب «أسورة» و«الأساورة»: جمع أسوار لغه في سوار. وأصل الجمع أساور مخفف بحذف إشباع الكسرة ثم عوض الهاء عن الحروف كما عوضت في زنادقة جمع زنديق إذ حقه زناديق. وأما سوار فيجمع على أسورة. **والسوار:** حلقة عريضة من ذهب أو فضة تحيط بالرسغ. وهو عند معظم الأمم من حلية النساء الحرائر. وقد كان من شعار الفراعنة لبس سوارين أو أسورة من ذهب وربما جعلوا سوارين على الرسغين وآخرين على العضدين. فلما تخيل

فرعون أن مرتبة الرسالة مثل الملك حسب افتقاد ما هو من شعار الملوك عندهم أمارةً على انتفاء الرسالة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٦]

القراءات: «سلفًا» قرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام وقرأ الباقون بفتحهما.

التوجيه: قال الرازي: قرئ «سلفًا» بفتح السين وهو جمع سالف، وقرئ بالضم وهو جمع سلف، قال الليث: يقال سُلُف بضم اللام يسلف سلوفًا فهو سلف أي متقدم. **وقال ابن عاشور:** والسلف بفتح السين وفتح اللام في قراءة الجمهور: جمع سالف مثل: خدم لخادم، وحرس لحارس. والسالف الذي يسبق غيره في الوجود أو في عمل أو في مكان ولما ذكر الانتقام كان المراد بالسلف هنا السالف في الانتقام، أي أن من بعدهم سيلقون مثل ما لقوا. وقرأ حمزة وحده والكسائي (سلفًا) بضم السين وضم اللام وهو جمع سليف اسم للطريق الذي سلف ومضى.

وقال ابن جرير: وكان حميد الأعرج يقرأ ذلك: «فَجَعَلْنَاهُمْ سُلَفًا» بضم السين وفتح اللام توجيهًا منه ذلك إلى جمع سلفة من الناس، مثل أمة منهم وقطعة.

وأولى القراءات في ذلك بالصواب قراءة من قرأه بفتح السين واللام؛ لأنها اللغة الجوداء والكلام المعروف عند العرب وأحق اللغات أن يقرأ بها كتاب الله من لغات العرب أفصحها وأشهرها فيهم.

قلتُ: قراءة «سلفًا» بضم السين واللام متواترة، فلا وجه لردّها، وأمّا قراءة ضم السين مع فتح اللام، فليست بمتواترة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴾ [الزخرف: ٥٧]

القراءات: «يصدون» قرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبو جعفر وخلف العاشر بضم الصاد وقرأ الباقون بكسرها.

التوجيه: قال الرازي: قرئ بضم الصاد وكسرها، قال الكسائي: هما بمعنى نحو يعرِشون ويعرُشون، ويعكِفون ويعكُفون، وقيل: هي بالضم من الصدود أي من أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه، وأمّا بالكسر فمعناه يضجون.

وقال الشنقيطي: على قراءة الكسر فمعنى يصدون يضجون ويصيحون، وقيل يضحكون، وقيل معناهما واحد كـ «يعرِشون» و«يعرُشون».

وقال ابن عاشور: وقرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر وخلف (يصدون) بضم الصاد من الصدود إما بمعنى الإعراض والمعرض عنه محذوف لظهوره من المقام، أي يعرضون عن القرآن لأنهم أوهموا بجدلهم أن في القرآن تناقضًا، وإما على أن الضم لغة في مضارع صدّ بمعنى ضج مثل لغة كسر الصاد وهو قول الفراء والكسائي وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وحفص عن عاصم ويعقوب بكسر الصاد وهو الصد بمعنى الضجيج والصخب.

والمعنى: إذا قريش قومك يصخبون ويضجون من احتجاج ابن الزبعري بالمثل بعيسى في قوله، معجبين بفلجه وظهور حجته لضعف إدراكهم لمراتب الاحتجاج.

قلتُ: يقصد باحتجاج ابن الزبعري ما ذكره لّما نزل قوله ﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، فقال: قد عُبد عيسى، فهو في النار معنا، وجواب حجته الداحضة هذه هو قوله تعالى بعدها ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [الزخرف: ٦٨]

القراءات: قرأ يعقوب «لا خوفَ» وقرأ الباقون «لا خوفٌ».

التوجيه: يحتمل أن يقال هاهنا: معنى القراءتين واحد، باعتبار أنّه إذا كان المنفي، دلالةُ نفي أفراده كدلالة نفي جنسه كان الفتح والضم سواء، كما نقلنا عن ابن عاشور في سورة البقرة عند قوله تعالى ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ويحتمل أن يقال: قراءة «لا خوفٌ» بالضم مناسبة لوجود الخوف في عرصات يوم القيامة عند تطاير الصحف والمرور على الصراط وعند الميزان والحساب، وقراءة «لا خوف» بالفتح – على نفي الجنس – باعتبار أنّ مآلهم إلى دخول الجنة حيث لا خوف بالكلية، فالقراءة الأولى باعتبار ما يكون في أول يوم القيامة من الخوف والقلق، والثانية باعتبار ما يؤول إليه الأمر عند دخولهم الجنّة أو عند تبشيرهم بالنجاة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [الزخرف: ٦٨]

القراءات: قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ورويس في الحالين «يا عباديْ لا» وقرأ شعبة بفتح الياء وصلًا وإسكانها وقفًا «يا عباديَ لا» وقرأ الباقون «يا عبادِ لا».

التوجيه: قرئ: «يا عباديْ لا» بإسكان الياء وبفتحها «يا عباديَ» وقرئ بحذف الياء، وهي لغات في المنادى معروفة عند العرب وأشهرها وأكثرها استعمالًا وأجودها، كما نقلنا عن د/ فاضل السامرائي في «كنوز قرآنية» الجزء الثالث: «يا عبادِ» ثمّ «يا عباديْ» ثمّ «يا عباديَ» ولعل فائدة هذه القراءات الثلاث الدلالة على أنّ كل من انتسب إلى عبودية الله وآمن به ووحّده له نوعٌ من الأمان يوم القيامة سواءٌ كان من المقربين أو أصحاب اليمين أو المقصرين الذين غلبت سيئاتهم حسناتهم ولكن ماتوا على التوحيد، ويكون المقربون هم الذين ينادون بأجود لغات النداء «يا عبادِ» ثمّ أصحاب اليمين «يا عباديْ» ثمّ المقصرون «يا عباديَ» أو يقال قراءة «يا عباديْ» بالإسكان على الأصل في ياء الإضافة وقراءة الفتح

«ياعباديَ» لتخفيف ثقل سكون الياء وقراءة حذف الياء لمزيد التخفيف، وتكون قراءة «يا عباديْ» بالإسكان دالة على شدة القرب، وذلك لما يفيده التصاق الياء، وقراءة الياء «يا عباديَ» لمن هم أقلّ إيمانًا منهم، وقراءة «يا عبادِ» لمن هم أقل، والاحتمال الأول عندي أقرب، والله أعلم، إلا أنّ القراءات الثلاث على كلا الاحتمالين تدل على نفس المعنى.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ [الزخرف: ٧١]

القراءات: «ما تشتهيه» قرأ نافع وابن عامر وحفص وأبو جعفر بزيادة هاء الضمير مذكرًا بعد الياء وقرأ الباقون بحذفها.

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم وأبو جعفر «ما تشتهيه» بهاء ضمير عائد إلى «ما» الموصولة وكذلك هو مرسوم في مصحف المدينة، ومصحف الشام، وقرأه الباقون (ما تشتهي) بحذف هاء الضمير، وكذلك رسم في مصحف مكة ومصحف البصرة ومصحف الكوفة. والمروي عن عاصم قارئ الكوفة روايتان: إحداهما أخذ بها حفص والأخرى أخذ بها أبو بكر. وحذف العائد المتصل المنصوب بفعل أو وصف من صلة الموصول كثير في الكلام.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٣]

القراءات: «يلاقوا» قرأ أبو جعفر «يلقوا» بفتح الياء وإسكان اللام بلا ألف وفتح القاف وقرأ الباقون «يلاقوا» بضم الياء وفتح اللام وإثبات الألف وضم القاف.

التوجيه: قال ابن عاشور: قرأ الجمهور «يلاقوا» بضم الياء وبألف بعد اللام، وصيغة المفاعلة مجاز للدلالة على أنه لقاء محقق، وقرأه أبو جعفر «يلقوا» بفتح الياء وسكون اللام على أنه مضارع المجرد.

obeikandi.com

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٥]

القراءات: «ترجعون» قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ورويس وخلف العاشر بياء الغيب وقرأ الباقون بتاء الخطاب على الالتفات.

التوجيه: قراءة الياء على الغيبة إخبار عن هؤلاء الكفار الذين كفروا بالله وجعلوا له الولد، ولم يخاطبهم لأنهم بكفرهم استحقوا إعراض الله عنهم، وقراءة التاء تحتمل أن تكون خطابًا لهم على سبيل التوبيخ والتهديد، فهو خطاب سخطٍ وغضب لا خطاب رحمةٍ وإحسان، وتحتمل أن تكون خطابًا لجميع المكلفين، ففيها مع تهديد الكفار تبشير المؤمنين بإكرام الله لهم وإحسانه إليهم عند ورودهم إليه يوم القيامة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٨]

القراءات: «وقيله» قرأ عاصم وحمزة بخفض اللام وكسر الهاء وقرأ الباقون بفتح اللام وضم الهاء.

التوجيه: قال الرازي: قرئ بخفض اللام وفتحه، أما الذين قرءوا بالنصب فذكر الأخفش والفراء فيه قولين **أحدهما-** أنه نصب على المصدر بتقدير وقال قيله وشكا شكواه إلى ربه يعني النبي ﷺ، فانتصب قيله بإضمار قال.

والثاني- أنه عطف على ما تقدم من قوله «أَنَّا لا نسمعُ سِرَّهم ونجواهم... وقيله». وذكر الزجاج فيه وجهًا ثالثًا فقال إنه نصب على موضع الساعة لأن قوله ﴿ وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ معناه أنه عَلِمَ الساعة والتقدير عَلِمَ الساعة وقيله: ونظيره قولك عجبت من ضرب زيد وعمرًا. وأما القراءة بالجر فقال الأخفش والفراء والزجاج أنه معطوف على الساعة أي عنده عِلم الساعة وعِلْم قيله يارب. قال المبرد: العطف على المنصوب حسن

وإن تباعد المعطوف من المعطوف عليه لأنه يجوز أن يفصل بين المنصوب وعامله والمجرور يجوز ذلك فيه على قبح.

وقال الشنقيطي: قرأ هذا الحرف نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، والكسائي (وقيله) بفتح اللام وضم الهاء وقراءة عاصم وحمزة: (وقيله) بكسر اللام والهاء؛ قال بعض العلماء إعرابه بأنّه عطف محل على الساعة لأنّ قوله تعالى ﴿ وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [الزخرف :٨٥]، مصدر مضاف إلى مفعوله. فلفظ الساعة مجرور لفظًا بالإضافة منصوب محلًا بالمفعولية، وما كان كذلك جاز في تابعه النصب نظرًا إلى المحل والخفض نظرًا إلى اللفظ. كما قال في الخلاصة:

وجرُّ ما يتبع ما جُرَّ ومَنْ راعى في الاتباع المحل فحسن

وقال في نظيره في الوصف: واخفض أو انصب تابع الذي انخفض، كمبتغي جاهٍ ومالًا من نهض، وقال بعضهم: هو معطوف على ﴿ سِرَّهُمْ ﴾ [الزخرف : ٨٠] وعليه **فالمعنى:** أم يحسبون أنّا لا نسمع سرهم، وقيله يارب الآية وقال بعضهم: هو منصوب على أنه مفعول مطلق. أي، وقال: قيله وهو بمعنى قوله إلا أن القاف لما كسرت، أبدلت الواو ياء لمجانسة الكسرة: قالوا ونظير هذا الإعراب قول كعب بن زهير:

تمشي الوشاة جنابيها وقيلهم إنك يا بن أبي سلمى لمقتول

أي ويقولون: قيلهم وقال بعضهم هو منصوب بيعلم محذوفة؛ لأن العطف الذي ذكرنا على قوله: سرهم، والعطف على الساعة يقال فيه إنه يقتضي الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يصلح لكونه اعتراضًا، وتقدير الناصب إذا دل المقام عليه لا إشكال فيه كما قال في الخلاصة:

ويحذف الناصب إن عُلما وقد يكون حذفه ملتزمًا

وأما على قراءة الخفض فهو معطوف على الساعة، أي وعنده علم الساعة وعلم قيله يارب واختار الزمخشري أنه مخفوض بالقسم ولا يخفى بعده كما نبه عليه أبوحيان.

وقال الزمخشري: ﴿ وَقِيلِهِۦ ﴾ قرئ بالحركات الثلاث، وذكر في النصب عن الأخفش أنه حمله على: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله، وعنه: وقال قيله، وعطفه الزجاج على محل الساعة. كما تقول: عجبت من ضرب زيد وعمرًا، وحمل الجر على لفظ الساعة، والرفع على الابتداء والخبر ما بعده: وجوز عطفه على علم قيله. والذي قالوه ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضًا، ومع تنافر النظم، وأقوى من ذلك وأوجه: أن يكون الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه، والرفع على قولهم: أيمن الله، وأمانة الله، ويمين الله، ولعمرك: ويكون قوله: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ جواب القسم، كأنه قيل: وأقسم بقيله يارب – أو وقيله يارب قسمي إن هؤلاء قوم لا يؤمنون.

قلتُ: قراءة الرفع غير متواترة، وهذا الذي قواه ووجهّه قد استبعده أبو حيان ووافقه الشنقيطي كما قدمنا، والذي يظهر لي – والله أعلم – أنّ حمل الآية على القسم أقوى، ولكن الأوجه في المعنى أن يكون قوله « وقيله يارب إنّ هؤلاء قومٌ لا يؤمنون» هو المقسم به، والمقسم عليه محذوف، فكأنّه قال: وقول رسولي إنّ هؤلاء قومٌ لا يؤمنون لانتقمنَّ منهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٩]

القراءات: «يعلمون» قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف العاشر بياء الغيب وقرأ الباقون بتاء الخطاب على الالتفات.

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ نافع وبن عامر وأبو جعفر وروح عن يعقوب (تعلمون) بالتاء (المثناة الفوقية) على أن «فسوف تعلمون» مما أمر الرسول بأن يقوله لهم، أي وقل سوف تعلمون. وقرأه الجمهور بياء تحتية على أنه وعدٌ من الله لرسوله ﷺ بأنّه منتقم من المكذبين.

❁ ❁ ❁